الخبز المر

غالب هلسا

عندما استرجع صورة الكثيرين من السياسيين العرب، يتأكد لي أن هنالك عداء أبدياً بينهم وبين الثقافة، وأن جهل غالبيتهم يتم اخفاؤه من خلال عمليات تجميل يقوم بها علماء الدعاية والاعلام.

أذكر، خلال عملي في وكالات الأنباء، أنه عند مجيء السادات الى السلطة كنت دائماً أحصل على نصين للخطاب الذي يلقيه، واحد للخطبة الفعلية، وآخر قد حذفت منه أجزاء، وأضيفت اليه أجزاء. وفي إحدى المرات أذاع السادات سراً عسكرياً كانت له نتائج خطيرة. لقد أعلن أنه تم تجهيز منطقة القنال بصواريخ سام، وأن الطيران الاسرائيلي لن يستطيع النفاذ الى العمق المصري. كانت الخطبة قد ألقيت في مدينة طنطا، وأذيعت على الهواء مباشرة، ومع هذا لم تنقل الصحف، ولا وكالات الأنباء هذا السر العسكري.

وبعد ١٥ أيار (مايو)، وقد زالت الأجهزة التي كانت تخضعه لرقابتها، انطلق السادات في عربدة مذهلة. مثال ذلك، أنه شارك سراً في تأليف مسرحية لفرقة تحية كاريوكا، عنوانها: «يحيا الوفد»؛ وهي تدور حول نضال الشعب المصري ضد الروس، الذين نهبوا خيراته.

واستقبل النقاد هذه المسرحية بالنقد. وفي اجتماع للسادات مع الصحافيين بدا غاضباً، وانطلق يقول دون تمهيد:

«بريخت، بريخت.. أيه بريخت دا؟ هوما فيش رئيس جمهورية كتب تمثيليات غير بريخت دا؟».

واندهش الصحافيون. ولم تزل دهشتهم إلّا حين تبين لهم أن السادات قد اعتقد أن برتولت بريخت هو فالتر أولبريخت رئيس جمهورية المانيا الديمقراطية آنذاك.

وهنالك حكايات، ليس هذا مجال نشرها. منها أنني حاولت أن أجري حديثاً مع سياسي عربي، جاء الى القاهرة، ضمن وفد بلاده الذي جاء ليقدم شكوى الى الجامعة